

سوق العمل تضيق الآفاق أمام الشباب المولعين بالفن التشكيلي

هل يعزف الشباب اليوم عن احتراف الفنون التشكيلية كمهنة تكفل لهم مورد رزق آمن



فرح وشغف

وراء سناحظ أن عدد الفنانين يقف عند بعض العشرات وهي أسماء مشهورة في حين لا يجد الشباب المبتدئون مكانتهم ولا تتاح لهم الفرصة ليبحثوا جدارتهم إلى جانب كبار.

**الأجهزة الجديدة والأترنت
تتيح للناس طرقاً جديدة
ومثيرة للتعرف على
الفن وتجربته. ولم تعد
المجموعات موجودة
على جدراننا فحسب، بل
أصبحت في جيوبنا**

ويضيف ضيا "في أواخر الثمانينات وبداية التسعينات كنت مع مجموعة أخرى من الفنانين أسسنا صالون التشكيليين الشباب وترأسته في دورته الأولى، وكان هدفه الأساسي تشجيع الفنانين الشباب على اقتحام المجال وعرض أعمالهم والوقوف بندياً إلى جانب كبار الفنانين، ونجد اليوم من بين كبار الرسامين الموجودين في الساحة الفنية من انطلقوا عبر هذا الصالون ولولاه لما أتحت لهم الفرصة".

ومن خلال تجربته كإعلامي يقول ضيا "منذ انطلاق إذاعة تونس الثقافية قدمت برنامجاً يواكب الحركة التشكيلية يسمى "خفايا الإبداع" واستجوبت حوالي 160 فناناً من كل الأعمار ومن جميع الأشكال الفنية واكتشفت جوانب كثيرة في تجاربهم وأدركت حجم الصعوبات التي تعترض الفنان عموماً، والحقيقة أن الحركة التشكيلية في تونس لا تجد رواجاً كبيراً لمنتجاتها رغم عدد الفنانين الهائل، لكن هذه الأعمال الفنية عندما تسافر خارج البلاد وتشارك في معارض في أنحاء العالم تلاقى ترحيباً مميّزاً وصدى كبيراً لذلك فإن الحركة التشكيلية التونسية تعد من ضمن التجارب المحترمة على مستوى العالم فهي معاصرة، وتطرح القضايا العالمية على مستوى التنظير والممارسة أيضاً".

ولا تجد أعمال الفن التشكيلي نفس القيمة في تونس نظراً إلى الصعوبات المالية التي يجابهها الفنان ولغياب سوق للفن التشكيلي إذ ما زالت الدولة هي المقتني الأول للأعمال الفنية والمشجع الأول لبعض الفنانين وهناك لجنة للشراءات الفنية ولكن القليل من الناس ومن المؤسسات الخاصة التي تؤمن بقيمة الفنون ويقتنون بعض الأعمال، ما عدا ذلك فإن الفن التشكيلي في تونس يعتبر من الكماليات ونحن نصارع مادياً لتوفير الضروريات في الحياة اليومية.

ويؤكد ضيا أن إقبال الشباب على الفن التشكيلي في زيادة وأعداد الفنانين الشبان في ارتفاع وأعداد المتكويين في هذا المجال يقتر بالآلاف على اعتبار توفر المدارس المختلفة، والثابت أن تجاربهم ستجد مستقبلها المزيد من الاهتمام باعتبار أن العالم يتغير.



الشغف يغلب حسابات العمل

يستقطب إلا من يؤمن به فعلاً، ويمكن بحسب منصور تصنيف الشباب في علاتهم بالفنون التشكيلية إلى شباب دارسين يتعاملون مع الفنون التشكيلية كاختصاص يؤول لهم التدريس في ما بعد، وشباب منتجين للفن وشباب متلقين وشباب لا مبالين لا يعرفون عنها شيئاً.

زيادة طلاب الفنون التشكيلية

من جانبه يعتبر الأستاذ بالمعهد العالي للفنون الجميلة بتونس لمجد النوري وعضو الهيئة المديرية لاتحاد الفنانين التشكيليين المشرف على الإعلام أن الفن التشكيلي غيره من الفنون فضاء رحب تاوي إليه الذوات المبدعة. ويؤكد لـ"العرب" لهذا "قد لا نصيب في حديثنا من الفن التشكيلي عن الفن التشكيلي ونحن كفنانين تشكيليين باعداننا المتزايدة خير دليل بل هناك زيادة في عدد المرسمين بمعاهد الفنون بتونس التي بدورها في تزايد".

ويوضح النوري "يرجع البعض العزوف النسبي للشباب إلى عدم توفر مواطن الشغل المتعلقة بالاختصاص لكنهم يتناسون أن البطالة لم تعد حكرًا على اختصاص دون آخر حتى الاختصاصات العلمية، وفي اعتقادي كدكتور في علوم وتقنيات الفنون وفنان تشكيلي محترف فإن المخصصين في الفن التشكيلي يمارسون هذا النسق الإبداعي دون خوف من البطالة وإنما استجابة لشغفهم".

وتأتي الموهبة ثم الهواية والشغف بالفنون التشكيلية فوق اعتبارات الجانب النفعي لها وتدفع الكثير من الفنانين الشباب نحو عدم الاعتراض بمال الشهادة الجامعية وإيجاد فرصة عمل بعد التخرج. ويرى المصمم الرسام محمد المالكى الخبير لدى الاتحاد العربي للصناعات الجلدية وعضو الهيئة المديرية للرابطة التونسية للفنون التشكيلية أن علاقة الشباب بالفن التشكيلي خاصة والفنون عامة قوية، والدليل على ذلك العدد الكبير من المؤسسات الجامعية العمومية والخاصة، وكذلك المنظمات غير الحكومية في المجال، ومنها اتحاد الفنانين التشكيليين التونسيين والرابطة التونسية للفنون التشكيلية ونقابة الفنون التشكيلية، ولكل من هذه المؤسسات تظاهرات خاصة بالشباب في النحت والحفر والخزف وغيرها من الاختصاصات.

ويرد المالكى لـ"العرب"، "إن السينما هو فن تشكيل الصورة الفوتوغرافية المتحركة، والمسرح هو فن تشكيل المشهد الحي المعاش والرقص والتعبير الجسماني هو فن تشكيل اللوحة المعبرة في تناسق، وفي المقابل الشباب هو حاضر الشعوب ومستقبلها، وهو الذي يريد أن يتعلم كل شيء لكن المشكلة في القائمين على الفنون التشكيلية والمؤسسات المنظمة والمستندة للبرامج التعليمية

تونس وفي الوطن العربي، وهو لا

الاجتماعي أدوات قوية للتعرف على الفن واكتشافه، ورغم بروز الإنترنت ضمن الطرق الأكثر شيوعاً للتعرف على الفن، إلا أن المتاجر (33 بالمئة) ومعارض الشوارع (29 بالمئة) والمزادات الفنية (12 بالمئة) تعد أكثر الطرق شيوعاً لشراءه.

وقال جايسون بيتريريدج، وهو بائع مشارك في مزادات بارك ويست غاليري "تمنح الأجهزة الجديدة للناس طرقاً جديدة ومثيرة للتعرف على الفن وتجربته. ولم تعد المجموعات موجودة على جدراننا فحسب، بل أصبحت في جيوبنا. ولكن، بينما تعد وسائل التواصل الاجتماعي جزءاً من مستقبلنا، لا يمكننا أن نخلى عن تواصلنا المباشر مع الفن".

وفي حين عثرت الغالبية العظمى من المستجوبين عن جهها للفن، ينظر معظم المشاركين إليه على أنه من الثانويات على لائحة مستحقاتهم، وتمتع المخاوف الاقتصادية البعض من شراء اللوحات والمخوتات، وتنسحب نفس النتائج تقريباً على غالبية الشباب حول العالم ومنهم العرب.

ويقول الفنان التشكيلي الشاب باسم منصور وهو أستاذ منتش على إحدى دور الثقافة بتونس "يبدو للوهلة الأولى أن هناك عزوفاً فعلياً من الشباب على دراسة الفنون التشكيلية باعتبارها تخصصاً متروكاً وليس له آفاق في سوق العمل، وهي كذلك فعلاً لمن ينظر لها من الجانب النفعي".

هواجس العمل تكبل الشباب

واقعياً هذا الاختصاص هش ومهمش في بلد يعاني العديد من الأزمات، فالمجتمع يولي أهمية للاختصاصات التي لها آفاق في سوق الشغل لذلك هناك من يختارون ممارسة الفن التشكيلي كهواية فقط وفق منصور.

ويتابع في حديثه لـ"العرب"، "أتعامل كثيراً مع الشباب الذين يتوجهون لدور الثقافة من أجل تنمية مواهبهم في الفنون التشكيلية؛ منهم تلاميذ وطلبة وموظفون يتعاملون مع هذا الاختصاص كهواية فهو لا يرقى في نظرهم لأن يكون مورد رزق آمن، رواد هذه النوادي من العائلات الميسورة في غياب شبه كلي للطبقة الفقيرة التي لا تفكر أصلاً في ممارسة الفن لا كاختصاص ولا كهواية".

ويلاحظ الأستاذ الشاب أن التوجه لدراسة اختصاصات الفن التشكيلي يكون غالباً من الشباب من عائلات ميسورة حيث يتعامل مع المستقبل بآريحية، ويضيف "أنا مثلاً من عائلة محدودة الدخل لكن توجهت لهذا الاختصاص اختياراً وليس اضطراراً إيماناً به، وكنت أعلم سلفاً أن المستقبل سيكون صعباً، لكن لو أعود إلى الوراء سأختار الفنون التشكيلية من جديد".

مستقبل الفن التشكيلي صعب في تونس وفي الوطن العربي، وهو لا

يسود اعتقاد عند البعض بأن جيل الشباب اليوم انصرف عن الاهتمام بالفن التشكيلي بفعل التقنيات الحديثة والإنترنت ومواقع التواصل الاجتماعي ويعتبر أن الأعمال الفنية لم تعد تجد من يشتريها في عصر يمكنه من خلال الوسائط الرقمية مشاهدتها وجلبها عنده دون اقتنائها من المعارض والفنانين، فيما يعتبر الفنانون والمختصون في الفن التشكيلي أن الشباب رغم مخاوفهم المتعلقة بتشغيلية الشهادات الجامعية في الاختصاصات الفنية إلا أن أعداد المتكويين في المدارس المختصة في الفن التشكيلي في زيادة كما أعداد الفنانين من فئة الشباب.

سماح بن عبادة
صحافية تونسية



تونس - تتداخل العديد من المعطيات عند محاولة تحديد العلاقة بين الشباب والفن التشكيلي ويأخذ القائلون بأن شباب اليوم يعزفون عن الفنون التشكيلية كاختصاص جامعي واحتراف ومهنة، من التعلق بالإنترنت والأجهزة الذكية بجانب الخوف من البطالة أهم الأسباب لهذا العزوف، معتبرين أن الشباب المولعين بالأعمال الفنية يمكنهم ممارستها وأن يشاهدوها عبر الإنترنت دون الاضطرار لحضور معارض الفنانين. وتأتي نظرة المجتمعات العربية لهذه الفنون في المرتبة المالية لأسباب العزوف، حيث لا يلاقي الفنانون الشباب العائد من الفن الذي يخول لهم الاعتماد عليه كمورد رزق، عدا بعض الاختصاصات التشكيلية مثل التصميم الذي مازال يمكن الممارسين له من فتح مشروعاتهم أو إيجاد عمل في اختصاصات مطلوبة في سوق العمل.

جيل مهتم بالفن التشكيلي

أظهرت دراسة أميركية لبارك ويست غاليري الذي يعد واحداً من أكبر المعارض الفنية الخاصة في العالم، أن جيل الألفية يهتم بالفن بنسبة أكثر من الأجيال السابقة. وقد تكون وسائل التواصل الاجتماعي وراء انجذابها إليها. جاءت الدراسة لفهم النظرة للفن في العصر الرقمي وشملت ألف مشارك أميركي من مجموعة متنوعة من الخلفيات الاجتماعية والاقتصادية، وناقشت ما يقوله المنتهون إلى جيل الألفية الذين ولدوا في الحقبة الممتدة من منتصف الثمانينات إلى منتصف التسعينات من القرن الماضي إنهم يعرفون بعض الأمور التي تتعلق بالفن ويقدرونه مثل أولئك الذين ولدوا ضمن طفرة المواليد (بين عامي 1946 و1964).

ووجه الباحثون عدداً من الأسئلة لبعض أبناء جيل الألفية وقال أربعة أشخاص من كل خمسة من جيل الألفية إن الفن مهم في حياتهم، وهي أعلى نسبة مسجلة في أي فئة عمرية. وساهمت وسائل التواصل الاجتماعي في تغيير طريقة تعامل الأجيال الشابة مع الفنون الجميلة، وحلقت مسارات جديدة للتعرف على الأعمال الفنية والفنانين الموهوبين الذين يقفون وراءها. وقال مؤسس بارك ويست غاليري ورئيسه التنفيذي، البرت سكاغليوني "يعتقد البعض أن أبناء جيل الألفية متعلقون بهوائياتهم الذكية بدرجة تجعلهم أقل اهتماماً بالفنون الجميلة. يبدو أن العكس هو الصحيح. ينجذب الشباب إلى الفن أكثر من الأجيال الأكبر سناً، ونرى المزيد من الشباب خلال المزادات في العالم. ونحن نشهد العلاقة الشخصية التي تربط بين الناس والفن الذي تم إنشاؤه لإلهامهم. فشاب اليوم يتوقون إلى هذا الإلهام أكثر من أي وقت مضى".

وقال 79 بالمئة من جيل الألفية إن وسائل التواصل الاجتماعي تتيح لهم التفاعل مع الفن بطرق جديدة ومثيرة، وكانت هذه النسبة 61 بالمئة بين أبناء الجيل إكس (الذين ولدوا خلال الفترة الممتدة من أوائل الستينات إلى أوائل الثمانينات من القرن الماضي) و37 بالمئة لدى الجيل الملود خلال طفرة المواليد. وأصبحت الإنترنت ووسائل التواصل

التي يغيب عنها استشراف المستقبل في البرامج التعليمية النظرية والتطبيقية وهذا يتطلب مختصين لديهم الخبرة الكافية كل في اختصاصه لمواكبة التطورات الثقافية والعلمية والتكنولوجية المتسارعة في هذا العالم المتغير".

يقول الخبير في مجال الصورة والفنان التشكيلي عمار ضيا أن الحديث عن الفن التشكيلي وإقبال الشباب على الفنون عموماً، ينطلق من الحديث على أهمية هذا القطاع في المجتمع وفي مناهج التربية والتكوين المعتمدة. فمناهج التدريس في تونس مثلاً هي التي تفتح النافذة الأولى على هذا العالم، رغم أن دروس التربية التشكيلية في مرحلتها الابتدائية والثانوية محدودة في الزمن، ولكن نلاحظ أنها تدفع الأحاسيس الأولى عند التلاميذ والشبان فيكتشفون أن لديهم الذوق والموهبة، لذلك عندما ينضج هذا الشاب في مستوى الثانوية العامة يكون قد بدأ يخطط لحياته، وعندما يجد أمامه أبواباً مفتوحة على مستوى الجامعة وهذه المدارس المختصة في تدريس الفنون التشكيلية والتصميم بكل اختصاصاته يمكنه أن يختار حينها طواعية ليكسب تجربة أكبر، ويتحصل على شهادة جامعية في هذا المجال تسمح له بأن يمارس هوايته من جهة ويجعل منها مورداً للرزق.

ويؤكد ضيا لـ"العرب" أن قضية الاهتمام بالفنون التشكيلية أو بالفنون عموماً هي قضية ترتبط بشخصية الشاب ونفسيته ومؤهلاته وثقافته، فليس في متناول أي إنسان أن يكون فناناً، كما لا يمكن لأي شاب أن يتابع تكويناً في هذا المجال وهو غير راغب في ذلك.

دعم الفنانين الشبان

في مستوى التكوين الجامعي بمجال الفنون نجد في تونس الفنون التشكيلية بكل تفرعاتها، مثل النحت والرسم والمنسوج والحفر والتصميم يعني مختلف التقنيات التي تقضي إلى تخرج الشاب بشهادة تسمح له بتدريس الفنون التشكيلية أو بصيغ فناناً ينتج منتوجاً فنياً يصلح للاروقة والمعارض وبيعاً ويشترى. ويمكن كذلك أن يتكون في مجال التصميم وهو فن ضروري



ينجذب الشباب إلى الفن أكثر من الأجيال الأكبر سناً، ونرى المزيد من الشباب خلال المزادات في العالم، ونشهد العلاقة الشخصية التي تربط بين الناس والفن الذي تم إنشاؤه لإلهامهم. فشاب اليوم يتوقون إلى هذا الإلهام أكثر من أي وقت مضى.